تخلف العلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم العربي :
الأسباب وأساليب التطوير

فيروز رشام*

الملخص :

يسود اعتقاد خاطئ في الوسط الجامعي وغيره ، بأن العلوم الإنسانية والاجتماعية علوم قليلة الأهمية ولا جدوى منها. وهي نظرة عامة المجتمع ، كما هي نظرة الكثير من الجامعيين والمثقفين أيضا ، حتى أن أكثر طلبة هذه التخصصات غير مقتنعين بجدوى دراستها ! والأسوأ في الأمر أن الذين يدركون خطورة هذا الموقف قليلون جدا ، وليس بيدهم فعل شيء لتغيير الوضع. هذه النظرة الدونية تؤكد وجود سوء فهم كبير للإنسانيات ، وهذا ليس سوى شكل من أشكال سوء فهم للعلم في حد ذاته. وهذا للأسف ليس حال الجامعة الجزائرية فقط ، فالعالم العربي كله ينظر للعلوم الإنسانية والاجتماعية نظرة دونية مقارنة بالعلوم الأخرى ، خاصة مع انبهاره الشديد بالتقنية وتعلقه بها.

الإشكالية : لماذا ينظر للعلوم الإنسانية والاجتماعية نظرة دونية في جامعاتنا ؟ ماهي أسباب تخلفها ؟ وما هي سبل تطويرها ؟.

الكلمات المفتاحية : التخلف العلمي ـ سوء فهم العلم ـ العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ الجامعات الجزائرية والعربية ـ طرق التدريس ـ الأسباب والحلول.

Abstract:

Among the major problems we have in Algerian universities today is to see the humanities as a science of second degree. Unfortunately this inferiority look includes all universities in the Arab world. We need to revise our understanding of the Humanities, and the teaching method. This lack of understanding of the humanities, is also a form of misunderstanding of science

* كلية الآداب واللغات ـ جامعة آكلي محند أولحاج ـ البويرة -fairouz .recham@yahoo.fr

itself. Most students and even researchers believe that the humanities can not improve life in the Arab world, and it is a big mistake because the humanities play a very important role in the construction of social life, and technology can not be considered only sufficient for the development of civilization.

Problematic : Why there is a look of inferiority for the humanities and social sciences in our universities What are the causes of scientific backwardness ? And What are the ways to develop ?

Key words : Scientific delay,a misunderstanding of science,social sciences and humanities , Algerian and Arab universities, Teaching methods , causes and solutions.

يسود اعتقاد خاطئ في الوسط الجامعي والأكاديمي ، كما في الوسط الاجتماعي بأن العلوم الإنسانية والاجتماعية علوم قليلة الأهمية ولا جدوى منها. وهي نظرة عامة المجتمع ، كما هي نظرة الكثير من الجامعيين والمثقفين أيضا ، حتى أن أكثر طلبة هذه التخصصات غير مقتنعين بجدوى دراستها ! والأسوأ في الأمر أن الذين يدركون خطورة هذا الموقف قليلون جدا ، وليس بيدهم فعل شيء لتغيير الوضع.

هذه النظرة الدونية تؤكد وجود سوء فهم كبير للإنسانيات ، وهذا ليس سوى شكل من أشكال سوء فهم للعلم في حد ذاته. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن تهميش هذه العلوم وإهمالها هو بالتأكيد تهميش للإنسان وإهمال له أيضا. وهذا ليس حال الجامعة الجزائرية فقط ، فالعالم العربي كله ينظر للعلوم الإنسانية والاجتماعية نظرة دونية مقارنة بالعلوم الأخرى ، خاصة مع انبهاره الشديد بالتقنية وتعلقه بها.

إن الدور الذي ينتظر من العلوم الإنسانية أن تؤديه في ظل التحولات الكثيرة والسريعة التي تعرفها البلدان العربية اليوم ، هو إعادة بناء المجتمعات ، فكريا ، وثقافيا ، واجتماعيا ، ومحاولة فهم التحولات الراهنة في بنيتها ، وحتى في بنية شخصية الإنسان العربي ، لأن غياب هذه العلوم أو تراجعها ، سيوجه المجتمعات العربية نحو مصير أسوأ مما هي عليه اليوم.

لذا نحن بحاجة ماسة لإجراء بحوث معمقة في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تكون قادرة على التأثير والتوجيه ، واقتراح حلول للمشاكل الفردية والجماعية. فلا شك أن العلوم الإنسانية بما فيها من آداب ولغات

وفنون وفلسفات وديانات ، والعلوم الاجتماعية بما فيها من علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية ، هي التي تأثر في الأفراد وتوجه أخلاقهم وقيمهم الإنسانية ، وتتحكم أيضا ـ ولو بشكل غير مباشر ـ في وتيرة التنمية والتقدم .

لذلك يجب مراجعة هذه النظرة الدونية للإنسانيات على الأقل في الوسط الجامعي ، ومعالجتها بمنطق علمي وموضوعي يحدد أسباب تخلفها ، ويبحث في أساليب تطويرها ، من أجل ترقية الفرد وترسيخ قيمه الإنسانية ، والمساهمة في حل مشاكل المجتمع. فهي علوم بإمكانها فعلا أن تساهم في فهم بنية المجتمع وحل مشكلاته وعلاجها ، وفي هذا تكمن أهميتها القصوى.

فعندما نتأمل حياتنا اليومية ، نستشف سريعا أن أعقد المشكلات التي يعيشها مجتمعنا في الوقت الراهن ، وأكبرها هي مشاكل نفسية واجتماعية بالدرجة الأولى؛ فالتطرف الديني ، والعنف ، والطلاق ، والانتحار... وغيرها هي مشاكل لا تحلها التقنية مهما تطورت ، ولهذا يصبح البحث في الإنسانيات والاجتماعيات أولوية يجب البدء بها ، وذلك من أجل فهم هذه المشكلات ورصد أسبابها في خطوة أولى ، ثم معالجتها بشكل عملي وفعال في خطوة ثانية.

تضم الإنسانيات مجموع العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان ، أي تلك التي=تتصل بالجوانب الفكرية والفلسفية والدينية والإبداعية والجمالية واللغوية والأدبية للإنسان+[1]. ولايوجد تعريف متفق عليه للإنسانيات Humanities كمالا يوجد أيضا اتفاق على الفروع التي تحتويها. فهي حسب البعض تضم عامة الفروع الخمسة الآتية : الفلسفة ، الدين ، الفنون ، الأدب واللغة ، التاريخ وهي فروع تتداخل مع بعضها البعض بشدة كما تتداخل في مجموعها مع العلوم الاجتماعية ، إذ =من العسير النظر إلى أي فرع من فروع الإنسانيات بمعزل عن الآخر.. وفي واقع الأمر أيضا هناك ارتباط وتكامل معرفي بين الإنسانيات والعلوم الاجتماعية+[2].

(1) أحمد أنور بدر، المدخل إلى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ط 02 2009 ، ص 13.
(2) نفسه ، ص 14، 15. 17.

ويشير مصطلح العلوم الإنسانية عند البعض الآخر =إلى الدراسات التي تستهدف الإحاطة المنهجية الوصفية والتفسيرية بالظواهر الإنسانية كعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس والأنثربولوجيا والجغرافيا... الخ بفروعها العديدة ، ولا ينطبق على الدراسات الإنسانية الأخرى المعيارية والتنظيمية من قبل فقه اللغة والقانون والشريعة والنقد الفني والأدبي وأنظمة المحاسبة والإدارة...الخ+[1].

تعاني العلوم الاجتماعية نفس العقبات التي تعانيها العلوم الإنسانية باعتبارها أقرب العلوم إليها ، فهي تستكشف علاقة الإنسان بذاته وبالمجتمع الذي ينتمي إليه وهي العلوم التي تضم عموما كل من: الأنثروبولوجيا ، علم الاجتماع ، علم النفس السياسة ، والاقتصاد . وهناك من يضيف إليها: التاريخ والجغرافيا ، القانون ، وحتى الفلسفة والدين والتربية[2] ، وهي بذلك تتقاطع مع الإنسانيات بشدة.

1 ـ إشكالية العلوم الإنسانية في العالم العربي :

لا يخفى على أحد في الوسط الجامعي ، بأن النظرة السائدة للعلوم الإنسانية ، هي أنها علوم من الدرجة الثانية ، لا تنفع المجتمع إلا بمقدار ضئيل ، ولا تلعب دورا مهما في حركة التنمية الاقتصادية ، وأنها تخصص ضعيفي المستوى ومحدودي التفكير... ! هذه هي مشكلتنا الكبيرة التي أنهكت الإنسانيات في جامعاتنا. فكيف تتطور هذه العلوم في بيئة لا تراها ذات جدوى ، بل وتحتقرها أشد الاحتقار ؟ ألم تقم النهضة الأوربية الحديثة ـ التي تعد أهم نهضة في التاريخ الحديث ـ على أيدي الأدباء والفلاسفة والفنانين؟.

إن المجتمعات والدول المتقدمة علميا وتكنولوجيا لم تغفل أبدا دور الإنسانيات ، وأدركت أهميتها منذ زمن مبكر ، فأنشأت العديد من المؤسسات ومراكز البحث ، ودعمتها ماديا ومعنويا ، ومنحت لها كل التسهيلات اللازمة للوصول إلى المعلومة ، وعظّمت شأن المفكرين والمبدعين ، لأنها تدرك جيدا أن النهضة لا تصنعها الآلة إنما تصنعها الأفكار ، وأن الطبيب ليس أعلى شأنا من الأديب ، والعلم ليس أعلى

(1) يمنى طريف الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية : تقنينها وإمكانية حلها، دار الثقافة، القاهرة، (د.ط) ، 1990، ص 09.
(2) ينظر: أحمد أنور بدر ، المدخل إلى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص 77، 78.

قيمة من الفن ، وهو ما لم نستوعبه نحن بعد .

أما واقع الحال عندنا ، فهو أن معظم طلبة العلوم الإنسانية لم يختاروها ولم يرغبوا فيها. وقد وجدوا أنفسهم مجبرين على دراستها لأنهم لم يحظوا بفرصة في تخصصات أخرى ، إما بسبب ضعف معدلاتهم أو سوء توجيههم ، والخطأ الفادح الذي ارتكبته الجامعات العربية منذ بداياتها ، هو توجيهها لأحسن الطلبة نحو العلوم الطبيعية والتقنية والدقيقة ، وتوجيه ضعيفي المستوى والمعدلات نحو الإنسانيات ، وهذا المقياس غير العلمي وغير السليم ، كان من أكثر الأسباب مساهمة في تكوين نظرة سيئة لهذه العلوم عبر الأجيال.

وقد انتقلت مشاكل الإنسانيات في مجال التعليم إلى مجال التربية في جميع المستويات التي تشتغل فيها هذه الأخيرة ، وهي المدرسة والبيت والمجتمع ، كما تسربت إلى تخصصاتها المختلفة كفلسفة التربية وأصولها ، التعليم بجميع مراحله؛ الحضانة والابتدائي والإعدادي والثانوي والعالي ، المناهج وطرق التدريس ، إعداد المعلمين... وغيرها(1) ، فأثرت فيها سلبا ونقلت إليها تلك النظرة الدونية للإنسانيات.

ونظرا لوجود اختلال في توجيه العلوم الإنسانية ، يوجد أيضا انفلات واضح في التربية ، يمتد منذ عدة أجيال ولا يزال مستمرا إلى اليوم. لهذا يعد تصليح التربية جزءا من تصليح التعليم والعكس صحيح أيضا ، لأن التربية =تعكس خلاصة ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي حوله بما فيه المدرسة والبيت ومؤسسات المجتمع ، فالتربية هي العملية الواعية الموجهة من أجل إحداث التغيير المطلوب في سلوك الجماعة التي ينتمي إليها+(2).

يرى كثير من الباحثين أن العلوم الإنسانية متأخرة أو متخلفة نسبيا عن العلوم الطبيعية بشكل عام ، سواء في العالم العربي أو خارجه . وكان الباحث =و. دلتاي+ =W.Dilthey+ من أوائل الباحثين الذين استشعروا بعمق وأصالة مشكلة العلوم الإنسانية ، وعجزها النسبي عن تحقيق التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية ، وهو ما أرجعه لمشكلتين أساسيتين هما: افتقار العلوم الإنسانية لتصور واضح لأهدافها ومناهجها ، وكون تطور وتنامي

(1) نظر: نفسه ، ص 130.
(2) نفسه ، ص 129.

العلوم الطبيعية قد رسّخ في الرأي العام صورتها على أنها مثل أعلى للمعرفة(1).

لكن مشكلة هذه العلوم تزداد تأزما وتعقيدا في العالم العربي والبلدان النامية ، حيث تتدخل معوقات خارجة عن نطاق فلسفة العلم ، وتندرج ضمن سوسيولوجية المعرفة أو عواملها الاجتماعية ، من قبيل ضعف التمويل نتيجة التشكيك في جدواها والانبهار بالآلة عنوان التقدم ، لحد اعتبار الدراسات الإنسانية ترفا يمكن بل يجب تأجيله ! يضاف لذلك الاختلال في تكوين وإعداد الباحثين ، حيث يتم التركيز على باحثي العلوم الطبيعية ، الذين يدعمون بالقروض والمنح والبعثات والمراكز دون باحثي العلوم الإنسانية ، وكذا احتكار الطلبة النابهين للعلوم الطبيعية(2).

إن مشكلة العلوم الإنسانية في العالم العربي ليست سوى جزءا من مشاكل التعليم والثقافة بشكل عام(3). وهي مشكلة مطروحة بإلحاح في الجامعات الجزائرية والمغاربية وكذا الخليجية ، وفي كل الجامعات العربية عموما ، فأزمة العلوم الإنسانية ليست خاصة ببلد عربي دون آخر. فقد وجدت دراسة لوضع هذه العلوم في جامعات الخليج مثلا ، أن السمة الغالبة على هذا الوضع هو تدني مكانة العلوم الإنسانية بالقياس إلى العلوم الطبيعية والرياضية وكذا التقنية. ومن هنا كانت الكليات المتخصصة بهذه العلوم الأخيرة ــ مثل الطب والعلوم والهندسة وتقنية المعلومات ـ تحظى دائما بالمكانة المرموقة ، وتولي لها الجامعة الاهتمام الأكبر ، وتقيد شروط وضوابط الالتحاق بها. ولعل هذا الوضع لا يخص الجامعات الخليجية وحدها ، بل نجده أيضا في غيرها من الجامعات العربية والغربية أيضا(4).

وحسب ذات الدراسة ، فإن النظرة السائدة في الجامعات الخليجية ، والتي تربط بين دور العلوم الإنسانية وإشباع متطلبات سوق العمل ،

(1) ينظر: يمنى طريف الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية : تقنينها وإمكانية حلها ، ص47 ، 48.
(2) ينظر: نفسه ، ص 92 ، 93.
(3) عن واقع التعليم والثقافة في الوطن العربي ينظر: محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط 06 ، 2010 ، ص 69 وما بعدها.
(4) ينظر: سعيد توفيق، مقال =محنة الفلسفة وأزمة العلوم الإنسانية في الجامعات الخليجية: دراسة تطبيقية في فلسفة العلوم الإنسانية+، مجلة =نزوى+، سلطنة عمان، العدد 40 ، 24 جويلية 2009.

هي نظرة أدت إلى تراجع دور العلوم الإنسانية ، وعدم وجود أية إمكانية لتطورها. فعلم الاجتماع - على سبيل المثال - يتحول في ظل هذه النظرة إلى نوع من الخدمة الاجتماعية والدراسة الميدانية لواقع محلي محدود ، ويصبح موجها لتخريج اختصاصيين اجتماعيين. وعلم النفس سيتحول دوره إلى تخريج اختصاصيين نفسيين للعمل في المدارس وبعض مراكز التأهيل التربوي ، ولن تعود هناك حاجة لدراسة الفلسفة والتاريخ والأدب والفن والنقد ، لأنه ليست هناك وظائف شاغرة في المجتمع بمسميات فيلسوف ، ومؤرخ ، وأديب ، وفنان ... الخ. ومن ثمة ، فمتى تشبّع سوق العمل من خريجي هذه العلوم ، لم يعد لوجودها مبرر ، ووجب إغلاق الأقسام العلمية المعنية بدراسته! (1).

لقد ظلت الإنسانيات =من حيث هي علوم تحررية ، مثار شك في المجتمعات العربية ، بل إن الكثير من علماء الاجتماع الذين اشتغلوا على بنيات المجتمع في الميدان ، تعرضوا للكثير من التضييق والقمع والسجن أحيانا ، لأن الأنظمة السياسية التسلطية كثيرا ما تعتبر أن أبحاثهم ذات أجندة سياسية خفية ، بل تعتبرهم مناضلين يساريين أكثر من كونهم مجرد علماء أكاديميين وباحثين في مجال العلوم الإنسانية ، حتى إن الشُّعب الجامعية الخاصة بهذه العلوم كثيرا ما تعيش حالة حصار ومعاناة بقصد القضاء عليها ومحوها+(2). لهذا لا توجد جرأة كافية في معالجة الظواهر الإنسانية والاجتماعية ، فالضغط والمنع يطال كل طرح جديد أو جريء.

وحتى نستطيع تحديد إشكاليات هذه العلوم بدقة أكثر ، لنتمكن من طرح الحلول المناسبة لها ، يمكننا اختصار أهم العقبات التي تواجهها الإنسانيات في العالم العربي ، والأسباب التي تحول دون تقدمها ، فيما يلي من مسائل:

---

(1) ينظر: نفسه .

(2) مصطفى الحسناوي ، مقال =دور العلوم الإنسانية في تحليل وفهم المجتمعات العربية المعاصرة : التحولات الاجتماعية في العالم العربي والحاجة إلى العلوم الإنسانية+، جريدة =المساء+، المغرب ، العدد 1322، 13 مارس 2011.
يعطي صاحب هذا المقال مثالا على الحصار والتضييق الممارس على الباحثين بما حدث في المغرب في "معهد السوسيولوجيا" ، الذي أسسه المفكر وعالم الاجتماع "عبد الكبير الخطيبي" مع باحثين آخرين سنة 1968، أي في خضم =سنوات الرصاص+ وصراع النظام السياسي مع المعارضة ، حيث تم إغلاقه سنتين بعد فتحه ، بدعوى أنه وكر من أوكار اليسار، وأنه يروّج للماركسية والنظريات الثورية.

ـ سوء فهم الإنسانيات ودورها ، وعدم تقديرها بشكل كاف.

ـ تعرض الباحثين في الإنسانيات للقمع والتضييق. فما أكثر الأدباء والمفكرين المنفيين من البلدان العربية ، والمسجونين ، والممنوعين من النشر ، بسبب نشاطهم العلمي في الإنسانيات ، والذي يفسر على أنها تحرك سياسي ، أو تمرد على السلطة الدينية.

ـ وضع شروط ومقاييس عالية لدراسة العلوم الطبيعية والتقنية دون الإنسانية ، وتوجيه الطلبة النجباء نحوها ، وبالمقابل يتم توجيه الطلبة دون المستوى وضعيفي المعدلات للعلوم الإنسانية.

ـ صعوبة الوصول إلى المعلومة والإحصاءات والبيانات ، من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، وحتى من الأفراد.

ـ عدم وجود دعم مادي ومعنوي لهذه العلوم سواء من الأفراد أو المؤسسات.

ـ عدم وجود مراكز بحث مستقلة عن الجامعة والهيئات الرسمية.

2ـ دور العلوم الإنسانية في الوقت الراهن :

تطورت العلوم الطبيعية بشكل هائل في القرن العشرين . وقد لاحظ المفكرون =أن تقدم العلم في الآونة الأخيرة يفتقر إلى التوازن ، فهناك ميادين أحرز فيها تقدما هائلا ، هي التي تتعلق بالعالم الطبيعي ، على حين أن هناك ميادين أخرى لا يزال العلم يحبو في أولها ، وهي الميادين الخاصة بالإنسان+[1]. وحالة اللا توازن هذه تنطبق على البلدان المتقدمة كما على الدول النامية ، وربما كان الحال أسوأ في هذه الأخيرة .

والعالم العربي بحاجة اليوم إلى تفعيل العلوم الإنسانية والاجتماعية أكثر من أي وقت مضى ، وأكثر من أي مكان آخر في العالم. فالتحولات والتغيرات العميقة والمتزايدة التي أسفرت عن سلسلة من الثورات ، تؤكد حاجتنا الشديدة والملحة لإجراء أبحاث ودراسات عاجلة لفهم الواقع الاجتماعي الجديد ، وتشخيص الشخصية العربية وسلوكياتها. وربما كان إهمال الإنسان العربي والمجتمع العربي سببا في انفجار الوضع وقيام هذه الثورات ، فبشكل من الأشكال تمثل هذه الثورات صرخة فردية وشعبية تقول في إحدى معانيها : =اسمعوني!+

(1) فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د.ط) ، 1978، ص203.

أو =افهموني!+. والعالم العربي بما فيه من مشاكل اجتماعية ونفسية ، لايمكن عدها وإحصاؤها ، يمثل أرضية خصبة لهذه العلوم لأنها أنسب العلوم لدراسة بنية المجتمع وحل مشكلاته وعلاجها ، وفي هذا تكمن أهميتها القصوى.

إن غاية العلوم الإنسانية =هي معرفة الإنسان في طبيعته وغرائزه وطموحاته النفسانية ، واستعداداته الذهنية ، وفي علاقاته مع الطبيعة الكونية ، ومع الكائنات الحية ، ومع البشر في روابطهم العاطفية والاقتصادية والثقافية والجمالية. وهدف تلك المعرفة بدورها هو تحقيق سعادة الإنسان في أبعادها المعاشية والنفسانية والاجتماعية والأخلاقية والروحية+(1).

وهي الغاية التي تتشارك فيها العلوم الاجتماعية والإنسانية معا ، فلكليهما = دور مهم في فهم الفرد وبنية المجتمع ، حيث تسهم في رصد وفهم وتحليل الظواهر الإنسانية والتغيرات والتحولات والمشكلات والقضايا المجتمعية واقتراح الحلول المناسبة والسيطرة عليها ، كما تسهم هذه العلوم في الارتقاء بالمستوى الحضاري والفكري والقيمي للإنسان والمجتمع ، وحفز ودعم التغيرات والتحولات الإيجابية مبكرا حتى لا تحدث في اتجاه مخالف لصياغة بنية المجتمع+(2).

3ـ الحلول المقترحة :

على العالم العربي الالتفات سريعا للعلوم الإنسانية ودعمها ، من خلال منح مكانة وفرصة لكل الباحثين والعلماء من مختلف التخصصات الذين يدافعون عن مستقبل الإنسان ، ويناضلون من أجل السلام والبيئة وحقوق الإنسان ، لأنه =لو وصل عالمنا إلى المرحلة التي يكون فيها لهؤلاء العلماء مع الفلاسفة والأدباء والفنانين والمفكرين الاجتماعيين والأخلاقيين ، كلمتهم المسموعة ، لأمكنه أن يوازن بين تقدمه العلمي وتنظيماته الاجتماعية ، وأن يحقق للبشرية ذلك الرخاء ، وتلك الحياة الفنية ـ ماديا ومعنويا ـ التي يستطيع العلم =بقدراته الحالية+أن يحققها لنا ، لو كان لدينا التنظيم الذي يرقى إلى مستوى هذه

(1) أحمد عروة ، العلم والدين : مناهج ومفاهيم ، دار الفكر، دمشق ، ط01 ، 1987، ص137.
(2) صفات سلامة ، مقال "ضرورة الاهتمام بدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية لفهم التحولات الحالية في ظل الواقع الاجتماعي وثورة الجيل الجديد"، جريدة "الشرق الأوسط" لندن ، العدد 11834، 23 أفريل 2011.

القدرات+[1].

فحسب التقرير العالمي للعلوم الاجتماعية المعنون بـ =الفجوات المعرفية+ الصادر في يونيو(حزيران) من العام 2010 عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) والمجلس الدولي للعلوم الاجتماعية ، فإن العالم الآن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى العلوم الاجتماعية للتصدي للتحديات الكبيرة التي تواجه البشرية. وأشار التقرير الذي يشكل أول استعراض شامل لمجال العلوم الاجتماعية منذ أكثر من عقد وأسهم فيه مئات من علماء الاجتماع من شتى أنحاء العالم ، إلى أن العلوم الاجتماعية لا تسهم بالقدر اللازم في رفع هذه التحديات نتيجة لأوجه التفاوت الهائلة في القدرات البحثية [2].

فلا يمكن ـ بأي حال ـ اعتبار التقدم العلمي والتكنولوجي وحده مقياسا للتطور الحضاري والرقي الإنساني ، ولسنا هنا بحاجة لدليل يؤكد ذلك ، فعالمنا اليوم هو عالم تقني ورقمي وإلكتروني بامتياز ، لكنه عالم قلق ومشتت وحزين ، وغارق في الحروب والمشاكل النفسية والاجتماعية. إن كل تقدم علمي لا يوازيه تقدم إنساني واجتماعي سيكون وخيم النتائج على الإنسانية جمعاء. فليس من الحكمة قياس تقدم الإنسان وتطوره بالإنجازات التقنية والتكنولوجية في حد ذاتها ، إنما في استخدامها الأمثل من أجل إنسانية سعيدة . فما فائدة التقنية في عالم تشوبه الحروب والتطرف والتشقق الاجتماعي !.

وفي ظل التحولات الكبرى التي يعرفها العالم العربي اليوم ، بإمكان العلوم الإنسانية المساهمة بشكل جد فعال في تربية وتكوين الأجيال الجديدة واللاحقة على قيم التسامح والتعاون ، وأن تعزز العلاقات الاجتماعية وحتى الدولية ، لذلك أصبحت هذه العلوم ضرورة معرفية وعلمية لا يمكن تجاوزها في الوقت الحالي لأنها ستمكننا من استشراف مستقبل أفضل.

بعد هذا العرض الموجز لإشكاليات العلوم الإنسانية في العالم العربي ، وانطلاقا من المعطيات المتوفرة لدينا حول وضع هذه العلوم

(1) فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، ص207.

(2) ينظر: صفات سلامة، مقال "ضرورة الاهتمام بدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية لفهم التحولات الحالية في ظل الواقع الاجتماعي وثورة الجيل الجديد"، جريدة "الشرق الأوسط".

في جامعاتنا ، يمكن معالجة المسألة من خلال بعض المقترحات التي لو أخذت بعين الاعتبار لربما تمكننا من استدراك بعض التأخر الشديد الذي تعانيه هذه العلوم ، وهي المقترحات المتمثلة فيما يلي:

ـ مراجعة كيفية تدريس العلوم الإنسانية في المنظومة التعليمية والتربوية ، بدءا من الطور التحضيري وصولا إلى التعليم العالي.

ـ تحفيز الطلبة والباحثين على التفكير الإبداعي ، ومنحهم مساحة كافية من الحرية لطرح بحوثهم ، والاهتمام بإنتاج الأفكار والإبداع والابتكار.

ـ تكييف المؤسسات التعليمية والبرامج التربوية مع تطلعات الشعوب العربية ، والتركيز على مشاكلها وانشغالاتها.

ـ إنشاء مراكز بحث متخصصة في الإنسانيات تكون مستقلة عن الهيئات الرسمية ، ودعمها ماديا ومعنويا ، ومنحها تسهيلات للوصول للمعلومة.

ـ الخروج من النمطية في تدريس الإنسانيات ، وجعل الواقع الاجتماعي والنفساني الموضوع الفعلي للبحوث والدراسات الإنسانية.

ـ مراجعة مقاييس اختيار التخصص في الجامعات ، والكف عن اعتبار الإنسانيات علوم إضافية أو غير مجدية ، وتوجيه أضعف الطلبة إليها.

قائمة المصادر والمراجع:

. الكتب :

1 ـ أحمد أنور بدر ، المدخل إلى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ط 02 ، 2009.

2 ـ أحمد عروة ، العلم والدين: مناهج ومفاهيم ، دار الفكر ، دمشق ، ط 01 ، 1987.

3 ـ فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د .ط) ، 1978.

4 ـ محمد عابد الجابري ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 06 ، 2010.

5 ـ يمنى طريف الخولي ، مشكلة العلوم الإنسانية : تقنينها وإمكانية حلها ، دار الثقافة ، القاهرة ، (د.ط) ، 1990.

. الجرائد والمجلات :

1 ـ جريدة =الشرق الأوسط+ ، لندن ، العدد 11834 ، 23 أفريل2011.

2 ـ جريدة =المساء+ ، المغرب ، العدد 1322 ، 13 مارس2011.

3 ـ مجلة =نزوى+ ، سلطنة عمان ، العدد 40 ، 24 جويلية 2009.